إيبارشيَّة سمالوط، محافظة المنيا
الاجتماع الشَّهري للآباء الكهنة
السَّبت ٧ فبراير سنة ٢٠١٥م

القُدَّاس الإلهي سرُّ الشَّركة

مقدِّمة ١
"الشَّركة" هو الاسم القديم للإفخارستيَّا ٢
بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة التي تشير إلى الإفخارستيَّا كسرٍّ للشَّركة مع بعضنا البعض ومع الله ٣
بعض أقوال الآباء التي تتحدَّث عن الإفخارستيَّا كسرٍّ للشَّركة مع الله ٤
الممارسات اللِّيتورجيَّة في القُدَّاس الإلهي كسرٍّ للشَّركة ٥
أوَّلاً: اشترك الشَّعب في تقديم القرابين، هو أوَّل علامة عن معنى الإفخارستيَّا كشركة ٥
ثانياً: الإصغاء إلى فصول القراءات في الكنيسة، يجمع المصلِّين في فكر واحد ٧
ثالثاً: القُبلة المقدَّسة هي أيضاً علامة الشَّركة بين أعضاء الجسد الواحد لكي تبدأ الأنافورا ٧
رابعاً: التَّناول شركة في سرّ وحدة الكنيسة ٩
مخاطر تعترض القُدَّاس الإلهي كسرٍّ للشَّركة ١٠
(١) انحسار المشاركة الحقيقيَّة في تقديم القرابين ١٠
(٢) فتور طقس القُبلة المقدَّسة ١١
(٣) الطُّغيان الإكليريكي الذي قلَّص دور الشَّعب في الخدمة الإفخارستيَّة ١١
(٤) الفرديَّة والانعزاليَّة بدعوى التَّقوى الشَّخصيَّة ١٢
(٥) التَّديُّن الذي حلَّ محلَّ مضمون الإيمان ١٣
(٦) ضعف حياة الشَّركة في الأديرة القبطيَّة بسبب سوء فهم معنى الإفخارستيَّا ١٣
وفي الختام ١٤

مقدِّمة

سرُّ الإفخارستيَّا هو سرُّ الأسرار في الكنيسة، لأنه هو سرُّ حضور المسيح الدَّائم فيها وفينا، ومن ثمَّ حضور الآب والابن والرُّوح القُدُس، لأنه حيث المسيح، فهناك الآب والرُّوح القُدُس. فسرُّ الإفخارستيَّا هو سرُّ وصولنا إلى الله، وشركتنا فيه.

سرّ الإفخارستيَّا، هو الينبوع الحي والمحيي، لمعرفة الكنيسة عن الثَّالوث القدُّوس. ليست المعرفة المجرَّدة، بل معرفة الخبرة والاختبار. والقُدَّاس الإلهي، هو شركة في آلام الرَّب وقيامته. والرُّوح القُدُس وحده، هو الذي يستطيع أن ينقل إلينا مذاقة هذه الشَّركة. «لأعرفه، وقوَّة قيامته، وشركة آلامه، متشبِّهاً بموته» (فيلبي ٣: ١٠). فإذا لم نُفسح المجال كاملاً لعمل الرُّوح القُدُس في هذا السِّر المقدَّس، لا نستشعر حضرة الرَّب في قلوبنا. ومن المهم أن ننتبه إلى أنَّ أيَّ إحساس ذاتي بقُدرة شخصيَّة، أو مهارة ذاتيَّة، يُغيِّب عمل الرُّوح القُدُس في الحال. فالله لا تُستعلَن قوَّته إلاَّ في ضعفنا وإقرارنا بعجزنا.

وإن كانت الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح هو رأس الكنيسة، فإنَّ سرّ الإفخارستيَّا هو الذي يجعل هذا الجسد واحداً مع الرأس. وهل هناك شركة أعظم من ذلك؟ «كأس البَرَكَة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخُبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خُبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخُبز الواحد» (١كورنثوس ١٠: ١٦، ١٧). وتقول إحدى الصَّلوات اللِّيتورجيَّة: "وأمَّا نحن المشتركين في الخُبز الواحد، والكأس الواحدة، فاجعلنا جميعاً متَّحدين بعضُنا ببعض، في شركة روح قُدُس واحد ...".

إنَّ وجود المسيح في وسطنا، هو الذي يجعلنا كنيسة. ووعدُ الرَّب لنا: «ها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الـــدَّهر»، لم يكن ممكناً أن يقوله الرَّب، لو لم يكن قد سبق وأسَّس وجوده بيننا بالإفخارستيَّا.

فالإفخارستيَّا التي أقامها الرَّب مع تلاميذه في ليلة العشاء الأخير، قائلاً لهم: «خُذوا كُلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي» هي بعينها التي تُقام كلَّ مرَّة بين المسيح وشعب كلِّ كنيسة، حين يقول الرَّب نفسه بفم الكاهن: «خذوا كُلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي»، لأنَّ الذي يُقيمها هو المسيح الواحد نفسه، الذي هو أمساً واليَوم وإلى الأبد. فكلَّ إفخارستيَّا، هي نفس جسد المسيح ودمه الأقدسَين. لذلك تنتفي أيَّة ثُنائيَّة في شكلها وجوهرها.

"الشَّركة" هو الاسم القديم للإفخارستيَّا

نعرفُ من سيرة البابا أثناسيوس الرَّسولي، أنَّ ''الشَّركة'' Communion هو الاسم القديم للإفخارستيَّا. ذلك لأنَّ ''الشَّـــركة'' أي ''التَّناول'' هي غاية القُدَّاس الإلهي. وبسبب أنَّ القُدَّاس الإلهي مُلتحم التحاماً شديداً بالمراحل الطَّقسيَّة ''للعشاء الأخـــير'' الذي أكمله الرَّب مع تلاميذه في العُليَّة في يوم خميس العهد، فإنَّ هذه المراحل الطَّقسيَّة للقُدَّاس الإلهي، تنحصـــر في نفـــس الأفعال الأربعة الأساسيَّة التي تمَّمها السيِّد الرَّب في العشاء الأخير، وذلك عندما:

– أخذ خُبزاً (التَّقدمة أي تقديم الحَمَل – Offertory).

– وبـــارك (التَّقديس – Consecration).

– وكســـَّر (القسمة – Fraction).

– وأعطاه (**التَّناول** – Communion). أي ''الشَّركة''.

والقُدَّاس الإلهي منذ بدايته المبكِّرة، كان يتكوَّن من قسمين متميِّزَين، هما:

- ''الاجتماع'' أي ''السِّيناكس الصَّغير – **ϯⲕⲟⲩϫⲓ ⲛ̀ⲥⲩⲛⲁⲝ**''.
- ''الشَّركة'' أي ''السِّيناكس الكبير – **ϯⲛⲓϣϯ ⲛ̀ⲥⲩⲛⲁⲝ**''.

وإنْ كان هذان القسمان يمثِّلان خدمتَين مستقلَّتين، إلاَّ أنَّ إحداهما تتبع الأُخرى، و لم يكونا في وقت من الأوقات قسمَين مستقلَّين بعضهما عن بعض، بل و لم يحدث أنهما انفصلا عن بعضهما أبداً منذ البداية.

• **''فالاجتماع''**، أي القسم الأوَّل من القُدَّاس الإلهي، كان نوعاً من الاستمرار لخدمة المجمع اليهودي في أيام الســـيِّد المسيح. وقد تكوَّن من فاتحة يقوم بها الرَّئيس، ثمَّ قراءات من العهد القديم، ومن كتابات الرُّسُل، والأناجيل، وترتيل المـــزامير، وهي عبارة عن تسابيح تُرنَّم، ثمَّ العظة.

ويورد الكتاب الثَّامن من المراسيم الرَّسوليَّة (النِّصف الثَّاني من القرن الرَّابع)، ما يحويه هذا القسم الأوَّل، أي ''الاجتماع''، فيقول: ''وبعد قراءة النَّاموس والأنبياء ورسائلنا والأعمال والأناجيل، فليعط الأُسقُف المقسوم، السَّلام لكلِّ الكنيسة قـــائلاً: 'نعمة ربِّنا يسوع المسيح، ومحبَّة الله الآب، وشركة الرُّوح القُدُس، تكون مع جميعكم'[1]. فيجيب الكُل: 'ومـــع روحـــك'. وبعد السَّلام يخاطب الشَّعب بكلمات عزاء'' (٨:٥:١١، ١٢).

وهذا ''الاجتماع''، كان مُباحاً لكلِّ من أراد أن يحضر، سواءٌ كان يهودياً أو وثنياً أو أيَّ فُضولي. وكان يحضره أيضاً الموعوظون الذين كانوا يستعدُّون لقبول المعموديَّة. وذلك لأنَّ واجب الكنيسة بلا شك، هو أن تبشِّر بالإنجيل للعـــالم، وأن تشهد للحق الذي فيه. أمَّا الصَّلاة فهي أمرٌ آخر.

وهكذا كان محتَّماً على كلِّ من لم يصر بعد مسيحياً، أن يخرُج بعد العظة. أمَّا الموعوظون الذين قبلوا الإيمان، ولكنَّهم لم

١– ٢كورنثوس ١٣:١٣

يتَّحدوا بالكنيسة بعد بالأسرار، فكانوا ينالون البركة من الأُسقُف في هدوء. ثم كان الشَّمامسة يعلنون: ''ليخرُج الموعوظون .. لينصرف الموعوظون''. وبعد خروج الموعوظين، كان الشَّمامسة يعلنون مرَّة أُخرى ''الأبواب، الأبواب''، فيقوم حارسو الأبواب بغلقها، ويمنعون أيَّ دخول، ولو كان على الباب مؤمناً.

• ثمَّ يأتي القسم الثَّاني، وهو ''**الشَّركة**''، والذي به تبدأ ''صلاة الشُّكر'' أي '' صلاة الإفخارستيَّا''، حاوية فيها الأفعال الأربعة الأساسيَّة السَّابق الإشارة إليها. والتي إلى جانبها، أضافت الكنيسة الأولى التَّحيَّة الأوليَّة Preliminary greeting والقُبلة، وجُملة ختاميَّة لتسريح الشَّعب. وهذا هو كلُّ مضمون الإفخارستيَّا في قُدَّاس ما قبل مجمع نيقية.

والقسم الذي يُدعى ''الشَّركة''، يبدأ بتقديم القرابين، التي منها يكون الحَمَل الإلهي. أي أنَّ طقس تقديم الحَمَل، هو طقسٌ يشترك فيه كلُّ المؤمنين في تقريب تقدماتهم إلى الشَّمامسة، الذين كانوا بدورهم، ينقلونها إلى الأُسقُف. ومن هذه التَّقدمات، تُنتقى العناصر اللاَّزمة لتكميل الذَّبيحة الإفخارستيَّة، وهي الخُبز والخمر والماء. فلم يكن أحدٌ من المؤمنين يدخل الكنيسة للاشتراك في القُدَّاس الإلهي بيديَن فارغتَين، بل كان موقناً بكلِّ يقين داخلي، أنه لابد أن يُقدِّم تقدمته للكنيسة مهما كانت ضئيلة، لأنها **تؤهِّله لشركة فعليَّة في سرِّ الشَّركة**. لأننا حين نقدِّم تقدماتنا للمسيح، فنحن نعبِّر بذلك عن تقديم حياتنا له. وسوف أعودُ إلى هذه الجزئيَّة مرَّة أُخرى.

بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة التي تشير إلى الإفخارستيَّا كسرٍّ للشَّركة مع بعضنا البعض ومع الله

- يقول الكاهن في أوشيَّة الاجتماعات في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''اللَّهم **شارك الحلول معنا**، لنخدم اسمك القدُّوس''[٢].
- ويقول أيضاً في القُدَّاس الكيرلُّسي في صلاة الحجاب للآب، وهي لأبينا القدِّيس يوحنَّا المثلَّث الطُّوبى[٣]: ''ليجعل فيَّ الكلمات المطهِّرة، لكي أكمِّل هذا القُربان الموضوع، الذي هو سرُّ جميع الأسرار، **بصُحبة وشركة مسيحك**''.
- صلاة صُلح تقول: ''يا **إلهَ** المحبَّة، **ومعطي وحدانيَّة القلب، ورازقُ الرأي الواحد الذي للفضيلة**''.
- ويورد مخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت)[٤]، صلاتان للصُّلح:

الأولى: ''اللَّهم مبدع كلَّ الأشياء، وبالأفضل الإنسان الذي خلقته ناطقاً كصورتك. وأتيتَ به إلى الكون، وزيَّنته بمواهب مقدَّسة. **الذي أعطانا ناموس المحبَّة بعضنا بعضاً، مريداً أن يكون الجميع واحداً، كما أنكما واحدٌ أنت وابنُك الوحيد**، ربُّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. أنت أيضاً يا سيِّدنا، **اجعلنا أحراراً من كلِّ افتراق. واجعل قلبنا واحداً في الشَّركة، ووحدانيَّة روحك القدُّوس**. واجعلنا مستحقِّين أن نقبِّل بعضنا بعضاً بقُبلة مقدَّسة، **إذ قد صرنا جسداً واحداً، وروحاً واحداً، كما دُعينا برجاء واحد لدعوتنا**، بالمسيح يسوع ربِّنا. هذا الذي من جهته ...''.

الثَّانية: ''اللَّهم سيِّد الكُل، اجعلنا أهلاً لهذا الخلاص، هذا الذي نحن غير المستحقِّين له، يا محب البشر، كي إذ قد طهَّرتنا جميعاً من كلِّ دنس ومن كلِّ مكر، ومن كلِّ رياء، نكون أهلاً أن نُقبِّل بعضُنا بعضاً بقُبلة مقدَّسة، **إذ قد صرنا جسداً واحداً، وروحاً واحداً، برباط المحبَّة، وسلامة ربِّنا يسوع المسيح**، هذا الذي أنت مباركٌ معه، والرُّوح القُدُس المحيي، المساوي معك، الآن وكلّ أوان ...''.

- يقول الكاهن: ''**محبَّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة وعطية الرُّوح القُدُس، تكون مع جميعكم**''.

٢- الخولاجي المقدَّس، القدَّاسات الثلاثة التي للقدِّيسين باسيليوس وغريغوريوس وكيرلس، سنة ١٩٠٢م، ص ٦٢٨

٣- وهو يوحنَّا أُسقُف بُصرى Bostra ومطرانيَّة العرب. وبُصرى هي عاصمة حوران جنوب غرب سوريا. وقد عاش في منتصف القرن السَّادس الميلادي، وكان معاصراً للقدِّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م). وله قُدَّاس حُفظت أجزاء منه في مخطوط خولاجي الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي تمَّ اكتشافه في القرن العشرين، بواسطة الأب عمانوئيل لان Emmanuel Lanne (١٩٢٣-٢٠١٠م).

٤- مخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت) هو أقدم قليلاً من مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قبطي)، وهذا المخطوط الأخير، جرت نساخته سنة ١٢٨٨م، ويحوي نص الثَّلاثة قُدَّاسات، وهو أقدم مخطوط معروف لديَّ حتى الآن، يورد نصَّ القُدَّاس الباسيلي قبطي عربي.

فيجيب الشَّعب: ''ومع روحك''. (هنا الشَّعب مجتمعاً، يُعطي محبَّة الآب، ونعمة ابنه، وشركة روحه، للكاهن!)[٥].

- يقول الكاهن في أقدم نصٍّ لكلمات التَّأسيس في القُدَّاس الغريغوري اليوناني: ''أُقدِّم لك مشورات حربَّتي هذه، وأكتُب أعمالي بأقوالك. **أنت الذي سلَّمتني شركة هذه (الخدمة)[٦] السِّرِّيَّة التي لجسدك، بُخبز وخمر**''. فيقول الشَّعب: نؤمن.
- مقدِّمة القسمة، التي ترد في القُدَّاسَين الباسيلي والكيرلُّسي، والتي يُرجَّح أنها تختص بالقُدَّاس الكيرلُّسي أصلاً، وقد استعارها القُدَّاس الباسيلي منه، فيها يقول الكاهن: ''وأيضاً فلنشكر الله الآب ضابط الكُل، أبا ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، لأنه جعلنا أهلاً الآن، أن نقف في هذا الموضع المقدَّس، ونرفع أيدينا إلى فوق، ونخدم اسمه القدُّوس. **هو أيضاً فلنسأله، أن يجعلنا مستحقِّين لشركة وتناول[٧] أسراره الإلهيَّة غير المائتة، الجسد المقدَّس، والدَّم الكريم،** اللَّذين لمسيحه، الضَّابط الكُل، الرَّب إلهنا''.
- وفي خولاجي القدِّيس سرابيون سنة ٣٥٠م، نقرأ عن **أوشيَّة لأجل الكنيسة كلِّها**. وهي أوشيَّة بديعة، عميقة غاية العمق، شاملة كلّ الشُّمول، تقول:

''يا ربُّ إلهَ الدُّهور، يا إلهَ الكائنات العاقلة[٨]، والنُّفوسِ النَّقيَّة، ونفوس الذين يدعونك بإخلاص وصفاء ... هب لكنيستك أن تكون حيَّة طاهرة، وأن تتحلَّى بالفضائل السَّماويَّة، وأن يكون الملائكة القدِّيسون في خدمتها، حتى يتسنَّى لها أن تُسبِّحك في الطَّهارة.

نتوسَّل إليك من أجل جميع أعضاء هذه الكنيسة، امنحهم جميعاً روح المصالحة، واغفر لهم خطاياهم. هب لهم ألاَّ يخطئوا أبداً. كُن سوراً حصيناً لهم، وابعد عنهم جميع التَّجارب. ارحم الرِّجال والنِّساء والأطفال. أظهر ذاتك للجميع، ولتكن معرفتك مكتوبة في قلوبهم[٩]، هذا ما نطلبه إليك بوحيدك يسوع المسيح، الذي به يليق بك المجد والقُدرة، الآن وإلى أبد الدُّهور. آمين'' (خولاجي سرابيون١٠:١-٤).

بعض أقوال الآباء التي تتحدَّث عن الإفخارستيَّا كسرٍّ للشَّركة مع الله

يقول الشَّهيد إغناطيوس الأنطاكي[١٠] (٣٥-١٠٧م) :

[من النَّافع لكم أن تصيروا في وحدة بلا لوم، فتكون لكم شركة في الله على الدَّوام] (أفسس ٤).

[حيث يكون المسيح يسوع، هناك تكون الكنيسة الجامعة] (أزمير ٨).

ويقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كما أنَّ عظمتَه تفوق الحدود، هكذا صلاحه أيضاً لا يُنطَق به. وبسبب هذا الصَّلاح الفائق، جعل نفسه منظوراً، **لكي يُبث الحياة في الذين يرونه. ذلك لأنه يستحيل أن يحيا أحد بدون الحياة، وجوهر الحياة كائن في الشَّركة مع الله، والشَّركة مع الله، هي في رؤية الله وتذوُّق صلاحِه]** (ضدَّ الهرطقات ٤:٢٠:٥، ٦).

٥- وهي نفس الصِّيغة التي تُقال في التَّسريح، حيث يقول الكاهن: ''محبَّة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة وعطيَّة الرُّوح القُدُس تكون مع جميعكم. امضوا بسلام، سلام الرَّب مع جميعكم'' فيجيب الشَّعب: ''ومع روحك أيضاً''.

٦- الكلمات التي بين القوسَين هي تصحيح العالم ماكومبر W.F. Macomber للنص اليوناني طبقاً لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex .

٧- الكلمة القبطيَّة ⲧⲙⲉⲧⲁⲗⲏⲙⲯⲓⲥ الواردة في التَّرجمة القبطيَّة، مأخوذة عن الكلمة اليونانيَّة μετάλημψις وهي بمعنى: ''أخْذ'' أو ''تناوُل'' أو ''قُبول''. ولكنَّها لا تحمل معنى ''إصعاد'' أو ''صعود''.

كما أنَّ كلمة ''إصعاد'' أو ''صعود'' لا تفيد المعنى هنا، لأنَّ الكلمة التي تسبقها هي ''شركة''، أي ''اشتراك في الأكل''. فالمعنى اللِّيتورجي هنا، هو أنَّ الشَّركة هي الاجتماع للاتحاد بجسد المسيح ودمه الأقدسَين، بالتَّناول منهما. لذلك لا يمكن فصل الشَّركة عن التَّناول في الإفخارستيَّا.

انظر: الأب متى المسكين، الإفخارستيَّا عشاء الرَّب، مرجع سابق، ص ٧٣٢

٨- سيراخ ١٧:٣٦ ؛ عدد ٢٢:١٦

٩- عبرانيِّين ١٠:٨

١٠- القدِّيس إغناطيوس الشَّهيد، هو أوَّل من ذكر تعبير: ''الكنيسة الجامعة - καθολοκὴ ἐκκλησία''.

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، معقباً على قول الكاهن: ''محبَّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ... '':
[هذا هو ما علَّم به الرَّسول أيضاً حينما كَتَبَ إلى الكورنثيِّين في الرِّسالة الثَّانية قائلاً: «نعمة ربِّنا يسوع المسيح، ومحبَّة الله، وشركة الرُّوح القُدُس، مع جميعكم» (٢كورنثوس ١٣ : ١٣). لأنَّ النِّعمة والهبة تُعطى في الثَّالوث من الآب بالابن في الرُّوح القُدُس. وكما أنَّ النِّعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطيَّة، إلاَّ في الرُّوح القُدُس. لأننا حينما نشترك فيه، تكون لنا محبَّة الآب ونعمة الابن وشركة الرُّوح نفسه. **ويتضح ممَّا سبق أنَّ فعل الثَّالوث هو واحد.** فالرَّسول لا يعني أنَّ ما يُعطى، يُعطى من كلٍّ واحد متنوِّعاً ومجزءاً، ولكن ما يُعطى إنما يعطى في الثَّالوث، والكُل من إله واحد][11].

وتقول المراسيم الرَّسوليَّة أيضاً في نصِّ صلاة الأُسقُف على الموعوظين (٨:٦:١٢، ١٣):
''اطَّلع الآن على عبيدك القابلين إنجيل مسيحك، وأعطهم قلباً جديداً، وجدِّد في أحشائهم روحاً مستقيماً، ليعرفوا ويعملوا مشيئتك بكلِّ القلب، وبرضى النَّفْس. أهِّلهم للتَّعليم السِّرِّي المقدَّس، للدُّخول إلى الإيمان. ووحِّدهم في كنيستك المقدَّسة، **واجعلهم شركاء أسرارك الإلهيَّة، بيسوع المسيح رجائنا، الذي مات لأجلهم**، الذي به لك المجد والتَّبجيل في الرُّوح القُدُس، إلى الآباد آمين''.

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):
[مع أنَّ الابن لا يحوِّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص - لأنَّ هذا مستحيل - إلاَّ أنَّ سماتَه الرُّوحيَّة، ترتسم بنوعٍ ما، في الذين **صاروا شركاء طبيعته الإلهيَّة بقبول الرُّوح القُدُس.** وبهاءُ لاهوته غيرُ المفحوص، يُضيء مثل البرق، في نفوس القدِّيسين] (ضدَّ نسطور ٣: ٢).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م):
[«**الخبزُ الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟**» (١كورنثوس ١٠:١٦) بعد أن قال «شركة جسد» أراد أن يبيِّن ما هو أوثق، لذلك أردف: «فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ» (١كورنثوس ١٠:١٧). وكأنه يقول: لماذا أتكلَّم بعد عن «شركة الجسد» بينما نحن ذلك الجسد بعينه؟ لأنه ما هو الخُبز؟ جسد المسيح. وماذا يصير المتناولون؟ جسد المسيح. فليس هناك أجساد عديدة بعد، بل جسدٌ واحد. فكما أنَّ الخُبز يصير واحدًا من حبَّات كثيرة مجتمعة، حتى أنَّ الحبَّات لا تكون ظاهرة مع أنها موجودة، لأنَّ الفرق بينها غيرُ واضح بسبب الاتحاد، هكذا نحن أيضًا، نتَّحد بعضُنا مع بعض ومع المسيح. لأنك لا تأكل أنتَ من جسدٍ، وغيرُك من جسدٍ آخر، بل الجميع يأكلون من الواحد بعينه. ولذلك أضاف: «لأننا جميعنا نشترك في الخُبز الواحد». **فإن كنَّا جميعًا نشترك في الواحد، بل ونصير هذا الواحد عينه، فلماذا لا نُظهِر أيضًا المحبَّة الواحدة، فنصير بذلك أيضًا واحدًا؟** لأنه هكذا كان قديمًا في زمن آبائنا الأوائل، إذ يقول: «كان لجمهور الذين آمنوا، قلبٌ واحد ونفسٌ واحدة» (أعمال ٤: ٣٢)] (عظة ٢٤ على شرح ١كورنثوس ١٠: ١٧).

الممارسات اللِّيتورجيَّة في القُدَّاس الإلهي كسرٍّ للشَّركة

أوَّلاً: اشترك الشَّعب في تقديم القرابين، هو أوَّل علامة عن معنى الإفخارستيَّا كشركة

ممَّا لا شك فيه، أنَّ نقطة انطلاق الخدمة اللِّيتورجيَّة، كانت مشاركة كلِّ المسيحيِّين فيها. إذ تشير خبرة الكنيسة الأولى وممارستها ووجدانها، إلى أنَّ **الذَّبيحة لم تكن تُقدَّم باسم الجميع وعن الجميع فحسب، بل وبواسطة الجميع أيضاً.** وكان مبدأ تقديم القرابين وشرطه، هما في أن يُحضر كلُّ شخص قربانَه، ويقدِّمه للشَّمامسة. فكان كلُّ مسيحي يأتي إلى

١١- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:٣٠

الاجتماع الإفخارستي في الكنيسة، حاملاً معه ما يسمح له قلبه وحاله، بتقديمه لسد حاجات الكنيسة[١٢]. أي حاجات رجال الإكليروس والأرامل واليتامى والفقراء، الذين كانت الجماعة مسئولة عن تدبير شؤونهم. لأنه بأعمال المحبَّة، تصير الكنيسة تجسيداً لمحبَّة المسيح. **فيهتم الجميع، بالجميع. ويخدم الجميع، الجميع.** وكانت هذه الحقيقة، هي من الوضوح والبداهة في الكنيسة الأولى، ما كان يحمل الأطفال اليتامى والمُعدَمين على المشاركة في هذه التَّقدمة، بإحضارهم ولو ماء الذَّبيحة، أو ماء التَّغطية، مساهمةً منهم في تقدمة المحبَّة هذه.

إذاً، حين يُحضِر كلُّ مؤمن قربانَه الفردي، فهو يشارك الجميع في قُربان الكنيسة جمعاء. وقد أنيط بالشَّمامسة مسؤوليَّة تلقِّي القرابين، واختيارها، وتحضير الأجزاء التي ستكون ''مواد'' السِّر، كتعبير عن هذه المحبَّة المتبادلة بين الجميع[١٣]. وكانت خدمة القرابين من اختصاص الشَّمامسة، وبقيت كذلك حتى القرن الرَّابع عشر، حين كانوا يحضرون القرابين المقدَّسة إلى رئيس الخدمة لبدء ''التَّقدمة prothesis''، أي الإفخارستيَّا تحديداً[١٤].

ومن أقدم الإشارات الآبائيَّة عن تقديم القرابين في القُدَّاس الإلهي، نقرأها في رسالة البابا كليمندس الرُّوماني (+ ١٠٢م) إلى أهل كورنثوس حين يقول لهم:

> [... لقد أمرنا (السيِّد) بأن نفي ما علينا من قرابين وعبادة، لا كيفما يكون وبغير نظام، ولكن في مواعيد وأوقات معيَّنة، وحدَّد بنفسه وبملء إرادته، أين وبواسطة مَن مِن الخُدَّام يجب أن نفي، لكي يتمَّ كلُّ شيء بقداسة وفقاً لإرادته، فيكون مُرضياً له. لذلك فإنَّ الذين يُقدِّمون قرابينَهم في الأوقات التي حدَّدها، يروقون في نظره فيباركَهم، لأنهم بإتبَّاع تعليمات السيِّد، لا يمكنهم أن يخطئوا ... فليس في كلِّ مكان يا إخوة تُقدَّم الذَّبيحة الدَّائمة، أو ذبيحة النَّذر، أو الذَّبيحة من أجل الخطايا والزَّلات، ولكن في القُدْس فقط. وليس في أيِّ مكان تُقدَّم، بل على المذبح في مواجهة الهيكل، وذلك بعد أن يقوم رئيس الكهنة والخُدَّام الآخرين ... بفحص التَّقدمة بكلِّ عناية] (٢:٤٠-٢:٤١)[١٥].

فلم تكن الصَّلوات الإفخارستيَّة تبدأ، قبل أن يَحضَر المؤمنون إلى الكنيسة حاملين معهم قرابينهم التي يَختار منها الشَّمامسة مادة السِّر المقدَّس. ومن أجل ذلك، فمنذ البدايات الأولى للكنيسة، لم تكن هناك قوانين تحض المؤمنين على ضرورة الحضور إلى بيت الرَّب، إذ كان الأمر بديهياً، بل إيجابياً، حيث يحضر المؤمن ليس بيدين خاويتين، بل حاملاً معه قرابينه.

وكان إعداد القرابين في كلِّ الطُّقوس منذ البداية، هو عمل الشمَّاس وليس الكاهن. ثم دخلت مع توالي الأيام عن الأقباط والسِّريان واليونان – ومعهم الأرمن – عادة أن يهيئ الكاهن القرابين في بدء اللِّيتورجيَّة، أي الخُبز والخمر بمؤازرة الشمَّاس، ويضعها على المائدة بحسب ترتيب كلِّ طقس.

ومن أبدع ما ورد في قوانين الكنيسة القبطيَّة عن تقديم القرابين في القُدَّاس الإلهي وأهميَّتها، هو ما نقرأه في قوانين البابا غُبريال الثَّاني بن تُريك (١١٣١- ١١٤٥م)، إذ يتَّضح لنا حنكة هذا البابا البطريرك، ومعرفته العميقة بمفهوم تقديم القرابين، ومعناه اللِّيتورجي، فيقول[١٦]:

''يا أحبائي، أنتم عارفون بما أُمرنا به من حمل القرابين والعشور لبيت الله. **ويحذِّروننا أن نقف قُدَّام الله وأيدينا فارغة**[١٧]. ويؤثر ضعفي من صلاحكم، أن يضع كلُّ واحد منكم في نفسه، ألاَّ يحضر إلى البيعة وهو صفر اليدَين، **ليتقرَّب من صدقة غيره**، بل يُقدِّم ما تيسَّر له، تبعاً لظروفه الحاضرة، سواء كثيرٌ أو قليل. فإنَّ الله يقبل الكثيرَ والقليلَ إذا كان بنيَّة

١٢- ٢كورنثوس ٩:٧

١٣- هذا كان في البدايات الأولى للكنيسة قبل صدور قوانين كنسية تُلزم بخبز القُربان في فُرن الكنيسة.

١٤- الأب ألكسندر شميمان، الإفخارستيَّا سر الملكوت، ترجمة سامر عبُّود، منشورات النور، ١٩٩٣م، ص ١٥٦، ١٥٧

١٥- أقدم النُّصوص المسيحيَّة، سلسلة النُّصوص اللاَّهوتيَّة، إقليمندس الرُّوماني، تعريب الأب جورج نصُّور، الكسليك، ١٩٧٥م، ص ٥١، ٥٢

١٦- القانون رقم ١٦ من مجموعة قوانين الـ ٣٢ قانوناً للبابا غبريال الثَّاني.

١٧- انظر: تثنية ١٦:١٦

خالصة. ومِن شهادة الرَّب لصاحبة الفلسَين، ما يُقنع بذلك[١٨]. من له أذنان سامعتان فليسمع"[١٩].

وإنَّ تعبير "ليتقرَّب من صدقة غيره"، يشرح لنا أنَّ الكنيسة لا تطلب تقديم العطايا والنُّذور من أجل التَّقدمات في حدِّ ذاتها، بل لأنها تعبير عملي عن رغبتنا الحقيقيَّة في شركة الجماعة، وهي الشَّركة التي تُسوِّغ لنا الاشتراك في جسد الرَّب ودمه الأقدسَين.

ثانياً: الإصغاء إلى فصول القراءات في الكنيسة، يجمع المصلِّين في فكر واحد

يتكلَّم القدِّيس إيريناؤس (١٣٠- ٢٠٠م) عن أهميَّة القراءات الكتابيَّة لذبيحة الإفخارستيَّا، إذ يجعل طقس القراءة والوعظ والتَّعليم قبل تقديم الإفخارستيَّا، أمراً جوهرياً بالدَّرجة الأولى. فيقول:

[وهكذا إذا قدَّمَت الكنيسة ذبيحتها **بفكر واحد متَّحد**، فإنَّ تقدمتها تُحسب بحق أنها طاهرة أمام الله] (ضدَّ الهراطقة ٤:١٨).

وهي عقيدة تأخذ أصولها وأسبابها مباشرة من قول الرَّب لتلاميذه قبل التَّناول من العشاء السِّري الأخير: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به» (يوحنا ٣:١٥). فقد قدَّم الرَّب جسده ودمه الكريمين لتلاميذه، بعد أن انتهى لتوِّه من تعاليمه وأقواله، تلك التي اعتبرها الرَّب كعمليَّة تطهير أساسيَّة للذِّهن والقلب. وهكذا يكتمل الاتحاد بين الله وشعبه، أولاً بكلمته، ثم بجسده ودمه الكريمَين. وهكذا فعل موسى منذ القديم عندما قرأ كتاب العهد على الشَّعب ثم رشَّ الشَّعب بالدَّم. ولقد شرحتُ هذه الجزئيَّة من قبل، وأكتفي بهذا القدر منها هنا.

ثالثاً: القُبلة المقدَّسة هي أيضاً علامة الشَّركة بين أعضاء الجسد الواحد لكي تبدأ الأنافورا

• القُبلة المقدَّسة هي علامة المحبَّة، والشَّركة بين جسد المسيح الواحد، الذي هو الكنيسة. ففي الكنيسة المسيحيَّة، تُمنح القُبلة للأُسقُف المرسوم حديثاً، بواسطة الإكليروس والشَّعب أيضاً، وذلك قبل أن يتقدَّم الأُسقُف ليرفع ذبيحة القُدَّاس معهم لأوَّل مرَّة، باعتباره كبير كهنتهم[٢٠]. فصار على الأُسقُف نفسه، أن يعطي هذه القُبلة المقدَّسة لكلِّ مسيحي جديد، بعد معموديَّته، ومسحِهِ بالميرون المقدَّس.

ولم يكن يُسمح لطالبي المعموديَّة الذين لم يعتمدوا بعد، بتبادل قُبلة السَّلام مع المؤمنين، لأنه لم يُصبحوا بعد أعضاء في جسد المسيح الواحد، ولم يقبلوا بعد الرُّوح القُدُس. فطالب المعموديَّة لا يستطيع أن يعطي سلامَ المسيح وحُبَّه.

ولقد أشار القدِّيس بولس الرَّسول أكثر من مرَّة في رسائله، إلى القُبلة المقدَّسة، كرمز وكعلامة للشَّركة المسيحيَّة[٢١]، ولكن بدون إشارة صريحة لوجودها في شركة الإفخارستيَّا. إلاَّ أنه يصعُب الشَّك في عدم استخدامها في اللِّيتورجيَّا المسيحيَّة في أيامه[٢٢]. **فوحدة الكنيسة كجسد المسيح، قد فُهمت منذ أيام بولس الرَّسول، على أنها جوهر السِّر الإفخارستي**[٢٣].

ويشهد لها القدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠ - ١٦٥م) بوضوح، وذلك في عديد من الرَّسائل التي يختمها بقوله: Ασπάσαθτε ὑμᾶς ἐν φιλήματι ἁγιῴ أي "قبِّلوا بعضُكُم بعضاً بقُبلة مقدَّسة". وأشار أيضاً إلى أنَّ **القُبلة اللِّيتورجيَّة، هي بمثابة إعداد للإفخارستيَّا، وخاتمة للصَّلوات السَّابقة لتقديس الأسرار.**

فالقُبلة المقدَّسة هي إيذانٌ بالدُّخول المباشر إلى الأنافورا. أمَّا كلُّ ما قبل القُبلة المقدَّسة من صلوات، فهي تُدعى في

١٨- انظر: مرقس ٤٢:١٢

١٩- انظر: متى ١٥:١١

٢٠- التَّقليد الرَّسولي ١:٤

٢١- انظر: رومية ٦:١٦ ؛ ١كورثوس ٢٠:١٦ ؛ ٢كورنثوس ١٢:١٣

22- Cf. Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982.p. 107.

٢٣- انظر: ١كورنثوس ١٧:١٠

المراجع الأجنبية Ordinary Mass وهي مجموعة الصَّلوات المعتادة أو المألوفة التي تتكرَّر في كلِّ قُدَّاس. ليس بمعنى أنها صلوات أقل أهميَّة، بل لأنها الصَّلوات التي تتكرَّر في جميع اللِّيتورجيَّات. وأمَّا صلوات ما بعد القُبلة المقدَّسة، فيتحدَّد بموجبها نوع اللِّيتورجيَّة التي نُصلِّي بها، إن كانت للقدِّيس باسيليوس أو القدِّيس غريغوريوس أو القدِّيس كيرلُّس، في الطَّقس القبطي، أو غيرها من اللِّيتورجيَّات في الطَّقوس الأُخرى.

إنَّ وضع قُبلة السَّلام قبل الأنافورا عموماً، هو تطبيق لوصيَّة الإنجيل: «فإن قدَّمتَ قربانك إلى المذبح، وهناك تذكَّرتَ أنَّ لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قُربانك قُدَّام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدِّم قربانك» (متى ٥:٢٣، ٢٤).

وفي القرن الثَّاني الميلادي، وما بعده، بلغت القُبلة اللِّيتورجيَّة أقصى درجات شيوعها كعلامة مسيحيَّة، وكتمهيد حتمي ومباشر للإفخارستيَّا، وكرمز "لوحدة الرُّوح برباط السَّلام"، والذي هو - بحسب القدِّيس بولس الرَّسول – الأساس الذي يؤكِّد أنَّ الكنيسة هي «جسد المسيح الواحد» (أفسس ٤:٣، ٤).

• ويولي كتاب الدِّيداخي الذي دُوِّن في أواخر القرن الأوَّل الميلادي، **المصالحة**، أهميَّة بالغة في الاجتماع الإفخارستي. فتقول الدِّيداخي: "عند اجتماعكم يوم الرَّب، اكسروا الخُبز واشكروا، بعد أن تكونوا اعترفتم بخطاياكم، لكي تكون ذبيحتكم طاهرة. لا يجتمع معكم كلُّ من له منازعة مع صاحبه، **حتى يتصالحا**، لئلا تتنجَّس ذبيحتكم" (ديداخي ١٤:١، ٢).

فشركة المتخاصمين في الذَّبيحة المقدَّسة، تلوِّث الباقين أيضاً. وهذا أمرٌ خطيرٌ للغاية. كما أنَّ وجود المتهاونين والمستبيحين والنَّجسين في القُدَّاس الإلهي، واشتراكهم في الذَّبيحة المقدَّسة، يتسبَّب في ضرر يعُم الجميع. ومن هنا دخلت ضرورة القُبلة الجماعيَّة أو المصالحة العامة، **كمقابل حتمي للاعتراف العام الذي كان يجري علناً في العُصور الأولى للمسيحيَّة**. وليس معنى هذا أنَّ القُدَّاس الإلهي هو للقدِّيسين فقط، وإلاَّ لما تقدَّم أحد إلى المذبح قط، ولكنَّه من أجل الخطاة التَّائبين، أي الخطاة المجاهدين ضدَّ إغراءات الجسد والعالم والشيطان. من أجل المعترفين بخطاياهم، والرَّاجين رحمة إلهنا.

ولدينا منذ القرن الثَّالث الميلادي، نصوصٌ ليتورجيَّة من الشَّرق، يصرُخ فيها الشمَّاس وهو واقف إلى جوار كرسي الأُسقُف، بينما يتبادل الشَّعب القُبلة المقدَّسة، فيقول: "لا يدع أحدٌ بينه وبين أخيه ملامة، ولا غشاً، ولا رياء"[٢٤]. وهو نداء بمثابة تحذير أخير – حتى ولو في اللَّحظات الأخيرة – فيتقدَّم الأُسقُف **بالمصالحة** بينهما. ولقد تطوَّر هذا التَّحذير الذي ينادي به الشمَّاس تطوُّراً كبيراً، وصار كمرد طويل[٢٥].

ولذلك، كان على الكاهن أن يمر على المتغيِّبين، لكي يطمئن عليهم. وكان الاجتماع الإفخارستي لا يبدأ إلاَّ حينما يحضر جميع الإخوة، ويطمئن القائمون بالخدمة، على مصالحة جميع الإخوة لبعضهم البعض، كما تقول الدِّيداخي، وكما تعلِّم قوانين البابا أثناسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م) بطريرك الإسكندريَّة. هذه هي روح الشَّركة التي كانت موجودة في الكنيسة الأولى، كما يصفها لنا سفر أعمال الرُّسُل في ثلاثة مواضع «وكان كلُّ شيء بينهم مشتركاً»، وهذا ما يلزم أن يكون قائماً في كنيسة اليَوم أيضاً. فهذا هو البُنيان الذي ينمو في السَّلام، والذي يُقدَّم القُدَّاس من أجله، حين يقول الكاهن في مستهل الخدمة المقدَّسة: "سلاماً وبنياناً للواحدة الوحيدة ... كنيسة الله".

ومن أجل ذلك أيضاً، تأمُر الدِّسقوليَّة بأن يعقد الأُسقُف مجالس للمصالحة بين المتخاصمين ثاني أيام الأسبوع (أي يوم الاثنين)، ليكون هناك متَّسعٌ من الوقت للصُّلح بينهم، حتى يوم السَّبت التَّالي، أي قبل قُدَّاس يوم الأحد. وتضيف الدِّسقوليَّة بالقَول: "إذا جلستم في مجلس الحُكم، ويكون معكم الخصمان اللَّذان يأخذان وجه الحُكم، فلا تسمُّوهما

٢٤- وليم سليمان قلادة، الدِّسقولية - تعاليم الرُّسل، الطَّبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٩٧٩م، الباب العاشر، ص ٢٠٥ وهو يقابل جزء من الكتاب الثَّاني من كُتُب المراسيم الرَّسوليَّة Apostolic Constitutions .

25- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 106, 107.

إخوة، حتى يتسالما مع بعضهما"(٢٦).

• وهناك نقطة أُخرى هامة، وهي أنَّ تغيُّب المسيحيِّين عن الاجتماع الإفخارستي، كان مُعتبراً في مفهوم الكنيسة الأولى، أنه تقطيع لأعضاء المسيح، وحرمان جسد المسيح من أعضائه. فتقول الدِّسقوليَّة: "فلا تكونوا خارجاً عن اجتماع الكنيسة، ولا تتفرَّقوا من أنفسكم، لأنكم أنتم أعضاءُ المسيح، لأنه هو رأسُنا كوعده الذي وعدنا به، وهو كائن معنا ومشاركُنا. فلا تتكاسلوا أنتم، ولا تُقطِّعوا أعضاء مخلِّصنا".

فالمسيحيُّون لم يكونوا يتأخَّرون عن حضور اجتماع الكنيسة أبداً، بل يجتمعون إليها كلَّ حين، لئلا تضعُف الكنيسة بقيامهم خارجاً عنها، أو بتركهم جسد المسيح تُعوزه أعضاء منهم.

فيا له من مفهوم رهيب حقاً، أنَّ الذي يغيب عن الكنيسة، يحرم جسد المسيح من أحد أعضائه. فالذي يغيبُ عن الكنيسة لا يخطئ في حق نفسه فقط، بل إنه يخطئ في حق المسيح. إنه يُقطِّع جسد المسيح، ويحرمه من أحد أعضائه، ويخطئ أيضاً إلى الكنيسة، ويجعلها تضعُف بقيامه خارجاً عنها. فجسد المسيح لا يتكامل إلا بحضور الكُل.

ومن أجل ذلك، كان يُمنع من الشَّركة، أي التَّناول من الأسرار المقدَّسة، كلُّ من يتغيَّب عن الكنيسة ثلاثة آحاد متوالية. فالقدِّيس الأُسقُف هوسيوس أُسقُف قرطبة، يذكر في القانون رقم (١١) لمجمع سرديقة الذي عُقد ما بين سنة ٣٤٣ وسنة ٣٤٤م، ما يلي: "أنتم تذكرون أنه في الزَّمن السَّابق، قد حدَّد آباؤنا، أنَّ أيَّ عامي يقيم في مدينة، ولا يحضر العبادة الإلهيَّة ثلاثة آحاد متوالية (أي مدَّة ثلاثة أسابيع كاملة)، يُمنع من الشَّركة".

وعاد القانون رقم (٨٠) لمجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، ليؤكِّد على هذا المبدأ قائلاً: "أيُّ أُسقُف أو كاهن أو شمَّاس أو أيُّ إكليريكي أو عامي، لا يذهب إلى الكنيسة مدَّة ثلاثة آحاد وأسابيع متوالية، مع وجوده في المدينة، وبدون أن يكون له عُذر ضرورة قاهرة، أو عوارض مانعة، فليُسقَط إن كان إكليريكياً، وليُقطَع إن كان عامياً".

رابعاً: التَّناول شركة في سرّ وحدة الكنيسة

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[إننا نحن جميعاً إذ نتناول μεταλαμβάνοντες من الرَّب الواحد بعينه، نصير جسداً واحداً، إذ يكون لنا في أنفسنا الرَّبُّ الواحد](٢٧).

ويشرح القدِّيس كيرلُّس الكبير ذلك الأمر فيقول:

[لكي يوحِّدنا ابنُ الله بنوع ما مع الله، ومع بعضنا البعض، بل ويمزجنا بعضُنا ببعض، على الرَّغم من كوننا مفترقين في نفوسنا وأجسادنا بسبب الكيان الذَّاتي لكلٍّ واحد، ابتكر وسيلةً، بحكمته الخاصة وبمشورة الآب؛ **إذ بارك المؤمنين به في جسدٍ واحدٍ، هو جسده الخاص، وذلك بالتَّناول السرِّي، وجعلهم بذلك جسداً واحداً معه ومع بعضهم البعض**. فمَنْ يقدر أن يفصل ويفصم من هذا الاتحاد النَّافذ إلى عُمق الطَّبيعة، أولئك الذين ارتبطوا بالوحدة في المسيح بهذا الجسد المقدَّس الواحد؟! لأننا إنْ كنَّا كلُّنا «نشترك في الخبز الواحد» (١كورنثوس ١٠: ١٧)، فإننا **نكون جميعاً جسداً واحداً بالتَّمام، لأنَّ المسيح لا يمكن أن ينقسم!**] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٧: ٢٠و٢١).

ويورد خولاجي القدِّيس سرابيون، بعض نصوص هامة، تعني أنَّ **التَّناول من الأسرار المقدَّسة، هو غاية الشَّركة:**

- "**اجعلنا مستحقِّين لهذه الشَّركة** (التَّناول) يا إله الحق(٢٨)، وامنح أجسادنا نمواً في العفَّة، وامنح أنفسنا فهماً ومعرفة"

٢٦- الدُّكتور وليم سليمان قلادة، الدِّسقوليَّة، مرجع سابق، الباب الثَّامن، ص ١٨٢ وهو يقابل الكتاب الثَّاني من كتب المراسيم الرَّسوليَّة.
٢٧- ضدَّ الأريوسيِّين ٣:٢٢ *N. P. N. F.* 406 والفعل μεταλαμβάνω يعني في الاصطلاح الكنسي: التَّناول من الإفخارستيَّا.
٢٨- مزمور ٣٠:٦

(خولاجي سرابيون ١٤: ١).
- ''**نشكرك، لأنك قد أعطيتنا شركة الجسد والدَّم**''[٢٩] (خولاجي سرابيون ١٦: ٢).
- ''يا إله الحق[٣٠]، محب البشر. **لتبق شركة الجسد والدَّم**[٣١] **مع هذا الشَّعب**. لتكن أجسادهم أجساداً حيَّة، ونفوسهم نفوساً نقيَّة. **امنح هذه البركة لحفظ الشَّركة، وليقين الشُّكر، وفرح الكُل** (بشركتهم) **معاً**. واجعلهم مختارين بابنك الوحيد يسوع المسيح في الرُّوح القُدُس، الآن وإلى كلِّ آباد الدُّهور. آمين'' (خولاجي سرابيون ١٨: ١).

يقول الأب ألكسندر شيمان: إنه أمرٌ ثابت ولا جدال فيه، أنَّ مناولة جميع المؤمنين في كلِّ قُدَّاس إلهي، كانت قاعدة واضحة في الكنيسة الأولى، ولكن ما يجب أن نُشدِّد عليه، هو أنَّ هذه المناولة الجماعيَّة والمنتظمة، فُهمت واختُبرت، ليس فقط كعمل تقوي وتقديس شخصي، بل فوق كلِّ شيء، **كعمل نابع من عضويَّة المرء في الكنيسة. بالضَّبط كتحقيق وإنجاز لهذه العضويَّة.**

لقد **عُرفت الإفخارستيَّا واختُبرت، كسرِّ الكنيسة، وسرِّ الجماعة، وسرِّ الوحدة** ... وكان من المتعارف عليه أنَّ الذي لا يتناول لأسابيع قليلة، يكون قد حرم نفسه وفصلها عن جسد الكنيسة. إنَّ مناولة جسد المسيح ودمه، كانت الإنجاز الواضح للمعموديَّة والميرون. و لم يكن هناك أيُّ شرط آخر لاقتبال المناولة. وإنَّ جميع الأسرار الباقية، ''تُختم'' بالاشتراك في القُدسات. وهذا الارتباط بين العضويَّة في الكنيسة **والمناولة**، كان واضحاً، لدرجة أننا نجد في النُّصوص اللِّيتورجيَّة الأولى أنه قبل تقديس القرابين، يتم تسريح أولئك الذين لا يحق لهم الاشتراك في الأسرار الإلهيَّة. ويجب أن يكون واضحاً عندنا مهما تعقَّدت وغمضت هذه الأمور فيما بعد، أنَّ هذا الفهم والخبرة الأوليَين للمناولة، سيبقيان إلى الأبد القاعدة الأساسيَّة لتقليد الكنيسة.

أمَّا إحجام البعض عن التَّناول بدافع الحرص الشَّديد على قُدسيَّة المناولة، مخافة تدنيس الأسرار إذا تناولها أولئك عن غير استحقاق، فهو إحجام لم يعُد صحيحاً اليَوم. لأنه لو كان صحيحاً، لشعر غير المتناولين ببعض الحُزن على الأقل وهُم يحضرون القُدَّاس الإلهي، ولتأسَّفوا على عدم استحقاقهم وعلى خطاياهم التي تفصلهم عن القُدسات، ولشعروا باختصار بأنهم ''محرومون'' من الكنيسة. ولكن بالواقع، لا شيء من هذا. جيلٌ بعد جيل من الأرثوذكس، يحضرون القُدَّاس بضمير طاهر، مقتنعين كُلياً أنَّ شيئاً أكثر من هذا الحضور، ليس مطلوباً منهم. وأنَّ المناولة ببساطة ليست لهم. وعندما يتناولون في تلك المرَّات القليلة والنَّادرة، فهم يتناولون كإتمام فرض أو واجب. وبهذه المناولة يعتبرون أنفسهم مسيحيِّين.

وإنه من المستحيل أن نجد نصاً آبائياً واحداً، يدعم فكرة أنه إذا لم يستطع المرء أن يتناول باستحقاق، من الأفضل له أن يمتنع عن المناولة.

مخاطر تعترض القُدَّاس الإلهي كسرٍّ للشَّركة

لقد كان مجرَّد الشَّركة في تناول الخُبز، يعني المصالحة والصَّداقة[٣٢]، وهي إحدى مظاهر المحبَّة الأخويَّة، أو الشَّركة الأخويَّة في الكنيسة الأولى[٣٣]. فإن كان الأمرُ كذلك، في مفهوم تناول الخُبز العادي، بين النَّاس وبعضهم البعض، فماذا كانت نظرة المسيحيِّين في الكنيسة الأولى، لهذا المفهوم، حين يتناولون معاً جسدَ الرَّب ودمَه الكريمَين؟ هذا المفهوم العميق لمعنى الشَّركة، قد صار باهتاً في كنيسة اليَوم، بل أخاف أن أقول إنه قد بات غيرَ مفهوم! وفيما يلي أحصر بعض النِّقاط التي ربما تكون قد تسبَّبت في ضعف مفهوم الشَّركة، كغاية عُظمى من غايات القُدَّاس الإلهي.

(١) انحسار المشاركة الحقيقيَّة في تقديم القرابين

بعد ازدياد عدد المسيحيِّين، صار من المستحيل عملياً، تقديم كلُّ واحد لقرابينه، حال وصوله إلى الكنيسة للاشتراك في

٢٩- ١كورنثوس ١٠:٦
٣٠- مزمور ٣٠:٦
٣١- ١كورنثوس ١٠:٦
٣٢- تكوين ٣١:٥٤، ١ملوك ١٣:٨
٣٣- أعمال ٢:١٦

القُدَّاس الإلهي، كما كان قائماً حتى إلى القرن الثَّاني عشر الميلادي أو بعده بقليل. فانحصرت المشاركة الحقيقيَّة للمؤمنين في حياة الكنيسة اليَوم، في المساهمة الماليَّة بشكل رئيسي، ويكفي أن يُخصَّص جانبٌ من هذا المال، لتقديم القرابين.

وهكذا نجد أنه لَمَّا تغيَّر نوع العطاء، تغيَّر بالتَّالي نوع المشاركة. فكان من البديهي أن يؤدِّي هذا التَّغيُّر السَّريع في الدَّور الاجتماعي للكنيسة، إلى إفراغ الاجتماع الإفخارستي من معناه الأوَّل، بعدما كان هذا العمل هو محور كلِّ حياة الكنيسة. **فكان لازماً على الكنيسة، الإبقاء على خدمة القرابين من حيث الشَّكل، على الرَّغم من عدم قدرتها عملياً على تلبية حاجات الجماعة إلاَّ في وقت آخر، بعيداً عن الاجتماع الإفخارستي.** فكان أن تحوَّلت الكنيسة إلى منظَّمة معقَّدة، يسيِّرها جهازٌ إداريٌّ ضخم، بغية توفير حاجات المؤمنين بهذا العدد الكبير.

(٢) فتور طقس القُبلة المقدَّسة

إنَّ فتور طقس القُبلة المقدَّسة في الوقت الرَّاهن، يمكن أن نعزوه إلى ازدياد أعداد المؤمنين الذين باتوا يجتمعون في كنائس ضخمة، لا يعرفون فيها بعضهم بعضاً. فأنا اليَوم لا أعرف من يقف بجانبي في الكنيسة. وكأنه لا أحد بالنِّسبة لي. من هنا نفهم لماذا كان يُطلب من المؤمنين في أوَّل عهد المسيحيَّة، الرَّد على نداء الشَّماس بالقُبلة المقدَّسة، بقُبلة حقيقيَّة، أي بفعل، وليس بكلمة. وما يزيد من قابليَّة اندثار مثل هذا الطَّقس، هو النَّظرة إليه كمجرَّد حركة شكليَّة. المحبَّة هي جوهر قداسة الكنيسة، لأنها فاضت في قلوبنا بالرُّوح القُدُس المعطى لنا. وهي جوهر وحدة الكنيسة[٣٤]. فماذا تكون الكنيسة إن لم تكن شركة محبَّة؟ وعلى رأي من قال في تعريف الكنيسة، أنها "محبَّة تجسَّدت في جماعة"[٣٥]. المحبَّة بين الجماعة، هي التي تؤهِّل الكنيسة لأن تُعلن المسيح ومحبَّته للعالم، ولأن تشهد له في أرجاء المسكونة.

(٣) الطُّغيان الإكليريكي الذي قلَّص دور الشَّعب في الخدمة الإفخارستيَّة

حين بدأ **الطُّغيان الإكليريكي التَّدريجي** في الكنيسة منذ القرون المبكِّرة – وهو ما تشهد عليه قوانين مجمع ترولو سنة ٦٩٢م – اتسعت الهوَّة التي تفصل بين رجال الإكليروس والعلمانيِّين. فكان من الطَّبيعي والحالة هذه، أن يتغيَّر جو الكنيسة برُمَّته. ففي نهاية القرن الرَّابع، كَتَبَ القدِّيس يوحنا ذهبي الفم يقول[٣٦]:

> [ثمَّة حالات لا يتميَّز فيها الكاهن بشيء عن الخاضعين له، وكذا الحال عند تناول الأسرار المقدَّسة الرَّهيبة. فنحن جميعاً مستحقُّون بالقدر نفسه. لقد تغيَّرت الأحوال عمَّا كانت عليه في العهد القديم، عندما كان للكهنة طعام، وللشَّعب آخر. وعندما لم يكن يُسمح للشَّعب بمشاطرة الكهنة طعامهم. اليَوم، الحال مختلف. اليَوم، الجسد ذاته والكأس ذاتها، ممنوحان للجميع ... اليَوم، كلُّنا نصافح بعضُنا بعضاً ...][٣٧].

الجماعة في الكنيسة، بمن فيهم الكاهن يرأس خدمة هذه الجماعة، هُم جسد المسيح. والمسيح وحده، هو الرأس. وكما أنَّ قداسة الجماعة ليست هي قداسة الأشخاص الذين يؤلِّفون هذه الجماعة، بل هي قداسة المسيح فيهم، فكذلك الأمر أيضاً في الكاهن، **فكهنوته ليس كهنوته هو، بل كهنوت المسيح الذي مُنح للكنيسة، لأنها جسده.** والمسيح ليس خارج الكنيسة، وهو لم يفوِّض سُلطته أو قوَّته لأحد. إنه هو نفسه في الكنيسة، يملأها بروحه القدُّوس. فالكاهن لا يمثِّل المسيح، وليس هو وكيل المسيح. الكاهن هو المسيح في السِّر، تماماً كما أنَّ الجماعة هي جسد المسيح[٣٨]. وفي نهاية المطاف، كلُّ الكنيسة هي العمل الكهنوتي للمسيح[٣٩]. فالكنيسة المجتمعة حول الإفخارستيَّا، هي صورة جسد المسيح وعلامة حضوره[٤٠].

٣٤– انظر أفسس ١٦:٤ الأب ألكسندر شميمان، مرجع سابق، ص ٢٠٦
٣٥– الأب ألكسندر شميمان، مرجع سابق، ص ٢٠٣
٣٦– نفس المرجع، ص ٣٣٨، ٣٣٩
٣٧– العظة رقم ١٨ إلى الكورنثيين (*PG* 61, 527)
٣٨– الأب ألكسندر شميمان، مرجع سابق، ص ٣٨
٣٩– نفس المرجع، ص ٢٠٦
٤٠– نفس المرجع، ص ٣٦

ونحن نصير مستحقِّين أن نتناول جسد المسيح ودمه الأقدسَين، لأننا نُعلنه باجتماعنا، لأنَّ جسد المسيح على المذبح، هو هبة معطاة للكنيسة، أي للجماعة كلِّها، في سرِّ وحدة الإيمان ووحدة الحُب.

وفي هذا السياق أودُّ أن أوضِّح أنَّ اشتراك أصحاب الرُّتَب الكهنوتيَّة في القُدَّاس الإلهي، لا يعني ضرورة وقوف كلِّ واحد منهم أمام المذبح بثياب الخدمة، ليُصلي جزءاً من صلاة القُدَّاس، لكي يكون مشتركاً فيه. وإلاَّ، فلو كان هذا هو مفهوم الشَّركة، لأصبح الشَّعب بمعزل عنها، ويبطل معنى الكنيسة. فالقُدَّاس الإلهي، اسمه ''ليتورجيَّة''، واسمه أيضاً ''السِّيناكس الكبير''، لأنه لا يُقام بدون شركة حقيقيَّة للجماعة كلِّها. أي أنَّ الشَّعب، هو شريك أساسي في إقامته، برغم أنَّ أحداً من أفراد الشَّعب لا يلزمه أن يقف أمام المذبح ليُصلِّي جزءاً من القُدَّاس، لكي يكون مشتركاً فيه. وخُلاصة القَول هو، أنه لا يلزم لكلِّ من له حق الوقوف أمام المذبح المقدَّس، أن يُصلي جزءاً من صلاة القُدَّاس الإلهي، لكي يكون شريكاً فيه.

• وثمَّة أمر آخر تسبَّب في انعزال العلمانيِّين عن المشاركة الفعليَّة في الخدمة اللِّيتورجيَّة، وهو انعزال الهيكل عن صحن الكنيسة بحجاب، ظهر في المعمار الكنسي القبطي مؤخَّراً، أي في غضون القرن الخامس عشر الميلادي، فصار يُخفي من ورائه كلَّ شيء. وكأننا نعود إلى الحجاب الذي هدمه المسيح بصليبه وموته، والذي كان يفصل قديماً بين القُدس وقُدس الأقداس.

فالهيكل في كنيسة العهد الجديد هو مكان اتحاد السَّماء والأرض، والخليقة جمعاء بالمسيح. اتحادٌ هو جوهر وجود الكنيسة وغايتها النِّهائيَّة[٤١]. كما أنَّ الهيكل مفتوح على صحن الكنيسة، وليس محجوباً عنه كما حدث في القرون المتأخِّرة بإيقونستاس، يحجب ما وراءه. لأنَّ انعزال الهيكل عن صحن الكنيسة، واعتبار الهيكل هو المكان الذي لا يحق للعلمانيِّين دخوله، قد أنشأ شعوراً بالانعزاليَّة عند العلمانيِّين، **كونهم مجرَّد مشاهدين لطقوس يجريها العارفون، وهم طغمة الإكليروس.** فالإيقونستاس لم يوجد لكي يفصل بين العلمانيِّين والإكليروس، أي كحائط يفصل العلمانيِّين عن المكان المقدَّس، ومن ثمَّ لا يجوز عبوره، إنما الإيقونستاس قد شُيِّد ليحمل أيقونات المسيح والقدِّيسين، لتتأكَّد الشَّركة بين السَّمائيِّين والأرضيِّين، ولكي يتَّضح للنَّاظرين، أنَّ الكنيسة بيت الصَّلاة، هي السَّماء على الأرض، ومكان التقاء العالم غير المنظور بالعالم المنظور[٤٢].

(٤) الفرديَّة والانعزاليَّة بدعوى التَّقوى الشَّخصيَّة

كلُّ من يحضر الكنيسة بفرديَّة وانعزال عن الجماعة، بدعوى تقوى شخصيِّة، لم يُدرك بعد، معنى سرِّ الكنيسة. فليست الإفخارستيَّا هي للتَّقديس الشَّخصي فحسب، بمعزل عن باقي الجماعة، فيلجأ إليها أو يمتنع عنها كلٌّ منَّا، تبعاً لحاجته الرُّوحيَّة التي يقرِّرها هو بحسب معاييره ومزاجه الخاص، ودرجة استعداده أو عدم استعداده، واضعاً جسد الرَّب ودمَه في خانة الأمور التي يمكن الاستغناء عنها ولو إلى حين! ذلك لأنَّ الكنيسة هي سرُّ الوحدة، وحدة المؤمنين معاً في النَّفس والجسد والرُّوح. والتَّجسيد المستمر لهذه الوحدة، كما في قول القُدَّاس الإلهي: ''اجعلنا كلّنا يا سيِّدنا مستحقِّين أن نتناول من قُدْساتك طهارة (أي تقديساً) لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ...''. هذه هي غاية الاجتماع الإفخارستي[٤٣]. وهنا القداسة الشَّخصيَّة ليست هي الغاية في ذاتها، بل وسيلة كمال الوحدة بين أعضاء الكنيسة الواحدة، فهبات الله هي للأشخاص من أجل تكميل عمل الكنيسة، وليس من أجل ذواتهم وحدهم، بمعزل عن الجماعة.

الانفراديَّة الرَّديئة التي هي أحد سمات العصر الحديث، لم تكن موجودة على الإطلاق في الكنيسة الأولى. فقد كان لدى الجميع إحساسٌ مشترك، بأنهم أعضاء في جسد واحد. كلُّهم أعضاء للمسيح، والذي يغيب يخطئ إلى الكنيسة. وعلى الكنيسة أن تسأل عنه لماذا لم يأت؟ وهذا ما نقرأه في أخبار الكنيسة الأولى: ''مرَّة جيء إلى الإسقيط بقليل من التِّين فاقتسمه الرُّهبان فيما بينهم. ولأجل أنه شيءٌ ضئيل، استحوا أن يُرسلوا إلى أنبا أرسانيوس شيئاً قليلاً، وذلك لجلالة منزلته. فلمَّا سمع الشَّيخ، امتنع عن المجيء إلى الكنيسة وقال:

٤١- نفس المرجع، ص ٣٠
٤٢- نفس المرجع، ص ٣١
٤٣- نفس المرجع، ص ٢١١ وما بعدها

[أفرزتموني من الإخوة، ولم تعطوني من البَرَكَة التي أرسلها الله، كأني لستُ أهلاً لأن آخذ منها. ولوجه آخر، نسيتموني بسبب كبريائي ...].
فانطلق القس، وأتاه بنصيب من التِّين ففرح، وجميعهم سبَّحوا الله، وجاء معهم إلى المجمع''.

(٥) التَّديُّن الذي حلَّ محلَّ مضمون الإيمان

وهناك نقطة أُخرى، بالغة الأهميَّة في زماننا الحاضر، وهي **أنَّ مضمون الإيمان ما عاد ضرورياً للتَّديُّن**، الذي حلَّ شيئاً فشيئاً محلَّ الإيمان وذوَّبه[٤٤]. لقد تدنَّت التَّقوى إلى مستوى التَّديُّن الفردي، فصار مفهوم الإيمان ضبابياً، إن لم نقُل غائباً كُلياً على المستويين اللاَّهوتي والشَّعبي. والدَّليل على صحَّة ذلك، هو عدم اكتراث السَّواد الأعظم ممَّن يدَّعون لأنفسهم صفة المتمسِّكين بالكنيسة والغيارى على تقليدها وحاملي لواء الدِّفاع عنها، بمضمون الإيمان الذي به يؤمنون[٤٥].

ولقد شرحتُ في أكثر من لقاء، سواء في مصر أو في الخارج، أنَّ الكلمة اليونانيَّة εὐσέβεια تعني: ''تقوى'' Piety وتعني أيضاً ''معتَقد أو إيمان'' Religion[٤٦]. لذلك فقد اقترنت التَّقوى بالإيمان اقتراناً شديدا، فالتَّقوى بدون الإيمان الصَّحيح لا تُفيد شيئاً، وليس هناك إيمانٌ صحيح بدون تقوى. ولكن لم تُترجَم هذه الكلمة اليونانيَّة إلى كلمة ''الإيمان'' في كتاب العهد الجديد، بل تُرجمت فقط إلى كلمة ''التَّقوى''. فالتعليم الصَّحيح في الكنيسة الذي هو التَّعليم بحسب التَّقوى[٤٧]، يعني التَّعليم الذي هو بحسب الإيمان. وحين يقول الكتاب المقدَّس: «عظيم هو سرّ التَّقوى، الله ظهر في الجسد» (١تيموثاوس ١٦:٣)، وهو نفس المعنى الذي انتقل إلى النُّصوص اللِّيتورجيَّة في قول القُدَّاس الإلهي: ''ووضع لنا هذا السِّرَّ العظيم الذي للتَّقوى''، فيعني ''بسرِّ التَّقوى'' هنا، سواء كتابياً أو ليتورجيًّا، بأنه ''سرُّ الإيمان''.

(٦) ضعف حياة الشَّركة في الأديرة القبطيَّة بسبب سوء فهم معنى الإفخارستيَّا

إنَّ الانهيار الذي لحق بمفهوم الحياة اللِّيتورجيَّة، ولاسيَّما ما يختص منها بالقُدَّاس الإلهي في أديرتنا القبطيَّة، قد طال كنائس المُدُن أيضاً. إذ لمَّا دخلتُ الدَّير في أوائل الثَّمانينيَّات من القرن الماضي، كان القُدَّاس الإلهي على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة، هو في يوم الأحد فقط، باستثناء الأصوام والأعياد السَّيديَّة وأعياد آباء الرَّهبنة الكبار وقدِّيسي الدَّير. مع تسبحة يوميَّة مشتعلة بالرُّوح. وبعد سنوات قليلة، صار يُصلَّى إلى جانب قُدَّاس الأحد، قُدَّاس آخر في يوم الأربعاء من كلِّ أسبوع. وظلَّ المبدأ اللِّيتورجي البديهي والبديهي جداً – والذي لم أكن أتصوَّر أن يتبدَّل في يوم من الأيام – هو أنَّ قُدَّاساً واحداً في اليَوم، للدَّير الواحد، هو الأمر الطَّبيعي، لأنَّ الذَّبيحة المقدَّسة المرفوعة في الدَّير الواحد، هي ذبيحة من أجل الوحدة، أي لكي تجعل رُهبان الدَّير الواحد، جسداً واحداً وروحاً واحداً، كما نُصلِّي في كلِّ قُدَّاس. ذلك لأنَّ تناول الجماعة معاً من الذَّبيحة الواحدة، يربطها معاً برباط المحبَّة، فيرتاح المسيح ابن المحبَّة في بيته، الذي هو نحن. وهذه هي غاية ومعنى الذَّبيحة المقدَّسة.

أمَّا في أيامنا هذه، فقد تعدَّدت القُدَّاسات في اليَوم الواحد، وكان دير أنبا مقار آخر الأديرة التي طالها هذا الأمر. ونفسي حزينة جدًّا على ديرنا الذي تمزَّقت فيه الوحدة والأُلفة بين رُهبانه، وغابت عنه المحبَّة. إذ كيف يمكن أن تظل روح الوحدة والمحبَّة قائمة بين رُهبان الدَّير الواحد، وهم يتوزَّعون للتَّناول من أكثر من ذبيحة مرفوعة في اليَوم الواحد في المكان الواحد، بل وفي الوقت الواحد؟! لأنَّ بيتاً إذا انقسم على ذاته يخرب، كقول السيِّد المسيح له المجد. الله لا يسمح. لقد كانت شهوة الكهنوت التي ضربت الرَّهبنة في مقتل، هي السَّبب في ذلك. وكأنَّ الرَّهبنة في حدِّ ذاتها، ليست مكرَّمة في عيني الرَّب، كطريق سماوي. لقد تسلَّقت شهوة الكهنوت من فوق أسوار الدَّير، فخرجت الرَّهبنة من بابه.

٤٤- نفس المرجع، ص ٢١٨
٤٥- نفس المرجع، ص ٢١٨
46- Cf. Liddell & Scott, *Greek English Lexicon*, Oxford, 1986, p. 332.
٤٧- انظر: ا تيموثاوس ٣:٦

وفي الختام

إنَّ وحدانيَّة الكنيسة، وشركة أعضائها مع بعضهم البعض، ليست أهمَّ صفات الكنيسة فحسب، بل هي جوهر وكيان الكنيسة. فكما نقول: إنَّ «الله محبَّة»، هكذا يمكننا أن نقول: إنَّ الكنيسة هي وحدة في المحبَّة، أي شركة ووحدة في الله.

بدون وحدة لا تكون الكنيسة كنيسة. إنها كنيسة، لأنها هي جسد المسيح، وجسد المسيح هو اتحاد جميع الأعضاء ببعضهم البعض. والذبيحة التي تُقام في مكان به خصام، تصير غير مقبولة لدى الله، بل ومرفوضة، فتصير دينونة علينا. فتصبح الذَّبيحة المقدَّمة أصلاً لإرضاء الله وتمجيده، ذبيحة لإغضابه.

الإفخارستيَّا هي سرّ الوحدة، لأنَّ المسيح الواحد يحلُّ في جميع أعضاء الكنيسة بالإفخارستيَّا. المسيح نفسه له المجد، قد عبَّر عن هذا المعنى في صلاته، بعدما أسَّس هذا السِّرَّ العظيم. فبعدما أخذ خبزاً وبارك، وقسمه وأعطاه للاثني عشر قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي»، قال بعدها في صلاته لدى الآب: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد». واضحٌ هنا أنَّ قوله: «أنا فيهم» بعد أن أعطاهم جسده المقدَّس ودمه الكريم، مسكوباً في كأس، جاء نتيجة طبيعيَّة مباشرة لحلوله فيهم، أي في كلِّ واحد منهم. وبذلك صاروا «مكمَّلين إلى واحد». هذه هي الكنيسة التي اقتناها الله بدمه، كما هو مكتوب في سفر أعمال الرُّسُل: «كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨).